

تَنَادَوْا بِلَيْلٍ

[من الطويل]

- أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْجَدِيدَ التَّكْلُمَا
 بِمَدْفَعٍ أَشْدَاخَ، فَبُرْقَةٍ أَظْلَمَا^(١)
 أَبَى رَسْمُ دَارِ الْحَيِّ أَنْ يَتَكَلَّمَا
 وَهَلْ يُنْطِقُ الْمَعْرُوفَ مَنْ كَانَ أَبَكَمَا
 بِقَاعِ نَقِيعِ الْجِزْعِ مِنْ بَطْنِ يَلْبَنِ
 تَحْمَلُ مِنْهُ أَهْلُهُ، فَتَتَهَّمَا^(٢)
 دِيَارَ لِسْعُثَاءِ الْفُؤَادِ وَتَرْبِهَا
 لِيَالِي تَحْتَلُّ الْمَرَاضَ، فَتَغْلَمَا^(٣)
 وَإِذْ هِيَ حَوْرَاءُ الْمَدَامِعِ تَرْتَعِي
 بِمُنْدَفَعِ الْوَادِي أَرَاكَ مُنْظَمًا^(٤)
 أَقَامَتْ بِهِ بِالصَّيْفِ، حَتَّى بَدَا لَهَا
 نَشَاصٌ، إِذَا هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ أَرْزَمًا^(٥)

(١) المَدْفَعُ: مجرى المياه. أَشْدَاخُ: إسم موضع. برقة أظلم: إسم موضع.

(٢) نقيع الجزع وبطن يلبن: إسم موضعين. تَتَهَّمُ: أقام في أرض تهامة أو صار إليها، وتهامة هي الأراضي الممتدة في شبه الجزيرة العربية حتى أطراف اليمن مروراً بمدن مكة المكرمة وجدة وبلاد نجران.

(٣) المَرَاضُ وَتَغْلَمُ: إسم موضعين.

(٤) المُنْدَفَعُ: مكان اندفاع المياه. الأراك: نوع من الشجر كثير الورق تُتخذ منه المساويك.

(٥) النَّشَاصُ: السحاب. أرزم: أَرَعَدَ.

- وَقَدْ أَلَّ مِنْ أَعْضَادِهِ، وَدَنَّا لَهُ
 (١) مِنْ الْأَرْضِ دَانٍ جَوْزُهُ، فَتَحْمَحَمَا
 تَجِنُّ مَطَافِيلُ الرَّبَاعِ خِلَالَهُ
 (٢) إِذَا أُسْتَنَّ، فِي حَافَاتِهِ الْبَرْقُ، أَثْجَمَا
 وَكَادَ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ، وَئِيدُهُ
 (٣) يَحُطُّ، مِنَ الْجَمَاءِ، رُكْنَا مُلْمَلَمَا
 فَلَمَّا عَلَا تُرْبَانٌ، وَأَنْهَلَ وَدْقُهُ
 (٤) تَدَاعَى، وَالْقَى بَرْكُهُ وَتَهَزَّمَا
 وَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ مَدْفَعٍ تَلْعَةٍ
 (٥) يَكُبُّ الْعِضَاهُ سَيْلُهُ، مَا تَصَرَّمَا
 تَنَادَوْا بَلِيلٍ، فَاسْتَقَلَّتْ حَمُولُهُمْ
 (٦) وَعَالَيْنَ أَنْمَاطَ الدَّرْقَلِ الْمُرْقَمَا

- (١) أَلَّ: صفا وبرق. أعضاده: نواحيه. جوزه: وسطه. تحمحم: صَوَّت كالرَّعد.
 (٢) المطافيل: الإبل مع أولادها. الرباع: أي التي نَتَجَتْ فِي الرَّبِيعِ. استنَّ: عدا. أثجم: سال.
 (٣) العقيق: الوادي أو كلَّ مسيل ماء شقَّه السَّيْلُ. وئيده: شدَّة صوته. الجماء: إسم موضع بين مكَّة المكرمة والمدينة المنورة. الركن: الجانب القوي أو الأساس. الململم: المجموع أو المضموم بعضه إلى بعض.
 (٤) تُربان: إسم موضع. انهل: انصب. الودق: المطر. ألقي بركه: أقام ولم يبرح مكانه. تهزَّم: تشقق بالمياه.
 (٥) المدفع: مجرى المياه. التلعة: ما علا من الأرض أو سفلى (من الأضداد). يكب: يلقي على الأرض. العضاه: نوع من الشجر. تصرَّم: انقطع.
 (٦) تنادوا بليل: كناية عن مناداتهم استعداداً للهرب من المطر. استقلت =

- عَسَجْنَ بِأَعْنَاقِ الطَّبَاءِ، وَأَبْرَزَتْ
 حَوَاشِي بُرُودِ الْقَطْرِ وَشَيْئاً مُنْمَماً^(١)
 فَأَتَى تَلَاقِيَهَا، إِذَا حَلَّ أَهْلُهَا
 بِوَادِ يَمَانٍ، مِنْ غِفَارٍ وَأَسْلَمَ^(٢)
 تَلَاقٍ بَعِيدٌ، وَاخْتِلَافٌ مِنَ التَّوَى
 تَلَاقِيَكُهَا، حَتَّى تُوَافِيَ مُوسِمَ
 سَأْهُدِي لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ قَصِيدَةً
 وَأَقْعُدُ مَكْفِياً بِشَرْبِ مُكْرَمَا
 أَلَسْتُ بِنِعَمِ الْجَارِ يُولِفُ بَيْتَهُ
 لَذِي الْعُرْفِ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَمُعْدِمَا^(٣)
 وَنَدَمَانِ صِدْقٍ تَمْطُرُ الْخَيْرَ كَفُّهُ
 إِذَا رَاحَ فَيَاضُ الْعَشِيَّاتِ خَضِرَمَا^(٤)
 وَصَلْتُ بِهِ رُكْنِي، وَوَافَقَ شِيْمَتِي
 وَلَمْ أَكُ عِضّاً فِي النَّدَامَى مُلَوَّمَا^(٥)

= حمولهم: أي تَحَمَّلُوا. الأنماط: مفردُها نمط، وهو نوع من البسط أو ثوب من صوف يُطرح على الهودج. الدَّرَقْل: نوع من الثياب. المرقَّم: الموشى.

- (١) عَسَجَ: مَدَّ عُنُقَهُ فِي مَشْيِهِ. الْقَطْرُ: نوع من الثياب يُنسب إلى اليمن. المنمم: ما كان له خطوط متقاربة من الثياب.
 (٢) غِفَارٍ وَأَسْلَمَ: قَبِيلَتَانِ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ.
 (٣) يُولِفُ بَيْتَهُ: يَجْعَلُ بَيْتَهُ مَأْلَفًا. الْعُرْفُ: بِمَعْنَى الْمَعْرُوفِ.
 (٤) فَيَاضُ الْعَشِيَّاتِ: الْكَرِيمُ. الْخَضِرْمُ: الْكَثِيرُ الْعِطَاءِ.
 (٥) الْعِضُّ: الْمُؤْذِي، أَوْ الشَّدِيدُ الْقَوِي.

وَأَبْقَى لَنَا مَرُّ الْخُرُوبِ، وَرُزُّهَا
 سُيُوفًا، وَأَدْرَاعًا، وَجَمْعًا عَرْمَرَمًا
 إِذَا أَغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ، وَأَمَحَلَتْ
 كَأَنَّ عَلَيْهَا ثُوبَ عَصَبٍ مُسَهَّمًا ^(١)
 حَسِبْتَ قَدُورَ الصَّادِ، حَوْلَ بَيوتِنَا
 قَنَابِلَ دُهِمًا، فِي الْمَحَلَّةِ، صِيَمًا ^(٢)
 يَظَلُّ لَدَيْهَا الْوَاعِلُونَ كَأَنَّمَا
 يُوَافُونَ بَحْرًا، مِنْ سُمِيحَةٍ، مُفَعَّمًا ^(٣)
 لَنَا حَاضِرٌ فَعَمٌ، وَبَادٍ كَأَنَّهُ
 شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً، وَتَكْرُمًا ^(٤)
 مَتَى مَا تَزِينَا مِنْ مَعْدٍ بَعْصَبَةٍ
 وَغَسَّانَ، نَمْنَعُ حَوْضَنَا أَنْ يَهْدَمَا ^(٥)
 بِكُلِّ فَتًى عَارِي الْأَشْجَاعِ، لَاحَهُ
 قِرَاعُ الْكُمَاةِ، يَرْشُحُ الْمِسْكَ وَالْدَّمَ ^(٦)

(١) الْعَصَبُ: نوع من البرود اليمينية. المسهم: المخطط.

(٢) الصَّاد: النَّحَاس. الْقَنَابِل: جماعات الخيل. الدُّهُم: السُّود. الصُّيَم: القائمة.

(٣) الْوَاعِلُونَ: مفردها واغل، وهو الذي يدخل على القوم فيأكل من طعامهم، دون أن يُدعى. سُمِيحَة: إسم بئر في المدينة. الْمُفَعَّم: الممتلئ.

(٤) شَمَارِيخ: مفردها شِمْرَاخ، وهو رأس الجبل. رَضْوَى: إسم جبل.

(٥) وَغَسَّان: «الواو» للقسم، أي قسمًا بغَسَّان.

(٦) الْأَشْجَاع: عروق ظاهر اليد، وعاري الأشجاع: دليل قوة ويطش عند العرب. لَاحَهُ: غيره. قِرَاع: قتال. الْكُمَاة: الْفُرْسَان. يَرْشُحُ الْمِسْكَ وَالْدَّمَ: كناية عن طيب الأصل.

إِذَا أَسْتَدْبَرْتَنَا الشَّمْسُ دَرَّتْ مُتُونُنَا
 كَأَنَّ عُرُوقَ الْجَوْفِ يَنْضَحْنَ عِنْدَمَا ^(١)
 وَلَدْنَا بَنِي الْعَنْقَاءِ وَابْنِي مُحَرَّقٍ
 فَأَكْرَمَ بَنَا خَالاً وَأَكْرَمَ بَنَا ابْنَمَا ^(٢)
 نُسَوِّدُ ذَا الْمَالِ الْقَلِيلِ، إِذَا بَدَتْ
 مُرُوءَتُهُ فِينَا، وَإِنْ كَانَ مُعْدِمَا
 وَإِنَّا لَنَقْرِي الضَّيْفَ، إِنْ جَاءَ طَارِقاً
 مِنَ الشَّحْمِ، مَا أَمْسَى صَاحِباً، مَسْلَمًا ^(٣)
 أَلَسْنَا نَرُدُّ الْكَبْشَ عَنْ طِيَّةِ الْهَوَى
 وَنَقْلِبُ مُرَّانَ الْوَشِيحِ مُحْطَمًا ^(٤)
 وَكَائِنْ تَرَى مِنْ سَيِّدِ ذِي مَهَابَةٍ
 أَبُوهَ أَبُونَا، وَابْنُ أُخْتٍ وَمَحْرَمَا
 لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرَّ يَلْمَعْنَ بِالضَّحَى
 وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دِمَا ^(٥)

- (١) الْعُنْدَمُ: خشب نبات يُصْبَغُ بِهِ، طَيِّبُ الرَّائِحَةِ.
- (٢) الْعَنْقَاءُ: هو ثعلبة بن عمرو بن ماء السماء. الْمُحَرَّقُ: هو الحارث بن عمرو، وكان من أول من عاقب بالنار.
- (٣) الْمَعْنَى، أَنَّهُمْ يَطْعَمُونَ الضَّيْفَ أَطِيبَ مَا عِنْدَهُمْ فَيَذْبَحُونَ الْإِبِلَ دُونَ عِلَّةٍ أَوْ مَرَضٍ إِكْرَاماً لِضَيْوِفِهِمْ.
- (٤) الْكَبْشُ: هو سيّد القوم. الطِّيَّةُ: النِّيَّةُ. الْمُرَّانُ: الرِّمَاحُ اللَّدْنَةُ فِي صَلَابَةٍ. الْوَشِيحُ: شجر الرِّمَاحِ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ لِلرِّمَاحِ ذَاتَهَا.
- (٥) الْجَفَنَاتُ: الْقِصَاعُ، أَوِ الْقُدُورُ الْكَبِيرَةُ. الْغُرَّ: الْبَيْضُ (مِنَ الشَّحْمِ الَّذِي فِي الْجَفَنَاتِ وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى كَرَمِ أَصْحَابِهَا).

أَبَى فَعَلُّنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَا
 وَقَائِلُنَا بِالْعُرْفِ إِلَّا تَكْلُمَا
 أَبَى جَاهُنَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَدَفَعْنَا
 وَمِلْءُ جَفَانِ الشَّيْزِ، حَتَّى تَهْزَمَا ^(١)
 فَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ جَزَيْنَا بِصُنْعِهِ
 فَبُؤْسَى بِبُؤْسَاهَا، وَبِالنُّعْمِ أَنْعَمَا

أُولَئِكَ قَوْمِي

[من المتقارب]

أُولَئِكَ قَوْمِي، فَإِنْ تَسَالِي
 كِرَامٌ، إِذَا الضَّيْفُ يَوْمًا أَلَمَ ^(٢)
 عِظَامُ الْقُدُورِ لَا يَسَارِهِمْ
 يَكْبُونَ فِيهَا الْمُسِنَّ، السَّيْنَمَ ^(٣)
 يُوَاسُونَ مَوْلَاهُمْ فِي الْغِنَى
 وَيُخَمُونَ جَارَهُمْ إِنْ ظَلِمَ
 وَكَانُوا مُلُوكًا بِأَرْضِيهِمْ
 يُبَادُونَ غَضَبًا، بِأَمْرِ غَشِمَ ^(٤)

(١) الشَّيْزُ: خشب أسود صلب تُصنع منه الجفنتان. تهْزَمُ: أي تهْزَمُ، بمعنى تتشقق بالشَّحْمِ.

(٢) أَلَمَ: نزل بنا.

(٣) الأيسار: مفردها ياسر، وهو الذي يلي قسمة الجزور. السَّيْنَمُ: الكبير السَّنام.

(٤) يبادون: يكاشفون. الغَشْمُ: سوء الظلم.